عالِم جهبذٌ ومَلِكٌ فَذٌّ: ترجمتان موجزتان للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والملك فيصل بن عبد العزيز

تأليف الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان.

أما بعد:

فإن الذي يتتبع التاريخ يقف على حقيقة واضحة هي أن كثيراً من علماء المسلمين وحكامهم إذا انتقلوا عن هذه الحياة الدنيا لا يموت ذكرهم الحسن بموتهم بل يجعل الله لهم لسان صدق في الآخرين فيذكرونهم بالخير ويثنون عليهم بالجميل ويذكرون مآثرهم العظيمة وأعمالهم الجليلة ويدعون الله لهم

بالمغفرة والمثوبة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهو سبحانه ذو الفضل العظيم.

ولقد كان من هؤلاء الأعلام علمان بارزان وطودان شامخان هما سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المتوفى يوم الأربعاء الموافق الرابع والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٨٩هـ والملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود المتوفى يوم الثلاثاء الموافق الثالث عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح الجنان، فإن لهذين الرجلين العظيمين حظاً وافراً من محبة الناس وثنائهم ودعائهم في حياتهما وبعد موتهما، وإن اجتماع ذلك العالم الجِهبذ بذلك الملك الفذ يذَكِّر باجتماع الإمام العظيم مجدد القرن الثاني عشر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بالإمام محمد بن سعود وتعاونهما في الدعوة إلى الله والسير على منهج الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، وإن مما تتمتع به البلاد السعودية في هذا الزمن من أمن ورخاء هو من ثمار التمسك بالشريعة الإسلامية التي رفع علم تجديد الدعوة إليها في القرن الثاني عشر الإمامان الجليلان محمد بن عبد الوهاب

ومحمد بن سعود عليهما من الله الرحمة والمغفرة وجزاهما عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

هذا وإن من أعظم ما قامت به حكومة المملكة العربية السعودية تجاه العالم الإسلامي لتعليم العلم النافع والدعوة إلى الخير، إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام ١٣٨١هـ، ولأهمية هذه المؤسسة العلمية العالمية كان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس هذه الجامعة وكان الملك فيصل الرئيس الأعلى لها.

وقد كان كاتب هذه السطور كتب ترجمة موجزة لهذين العلمين البارزين عقب وفاتهما رحمهما الله ونشرت الترجمتان في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فرأيت مناسبة نشرهما معاً هنا. والله ولي التوفيق.

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

المدينة المنورة

١٢/٥/١٤٠٢هـ

عالم جِهْبِذ(١)

في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك من عام ١٣٨٩هـ فقدت المملكة العربية السعودية علمها الشامخ وكوكبها الأغر ونجمها اللامع ومشعلها الوضاء سماحة المفتي ورئيس القضاة ورئيس الجامعة الإسلامية والكليات والمعاهد العلمية الشيخ الجليل العالم العامل الذي طال عمره وحسن عمله محمد بن إبراهيم آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب غفر الله له ورحمه، وكان لوفاته الأثر البالغ في النفوس لما للفقيد رحمه الله من مكانة مرموقة وأعمال جليلة، وهذه لمحة قصيرة عن سماحته رأيت إثباتها في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي هي إحدى المؤسسات العلمية التي يرأسها سماحته في أول عدد يصدر بعد وفاته، وموضوع الحديث عن سماحته مشاع لا يخفى على الكثير من الناس لكنها الرغبة في أداء بعض ما يجب لهذا الرجل الفذ الذي جمع بين العلم

والعمل، رحم الله الفقيد ولا فتننا بعده وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نسبه

هو صاحب السماحة الشيخ الجليل أبو عبد العزيز محمد بن الشيخ إبراهيم المتوفى سنة ١٣٢٩هـ رحمه الله ابن الشيخ عبد اللطيف المتوفى سنة ١٢٩٣هـ رحمه الله ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن المتوفى سنة ١٢٨٥هـ رحمه الله ابن شيخ الإسلام الإمام الجليل مجدد القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٠٦هـ رحمه الله ينتهي نسبه إلى ذلك الإمام المبارك الذي أظهر الله به السنة المحمدية في وقت اشتدت فيه غربة الدين وكثر فيه تعلق الخلق بغير رب العالمين، فأرشد الناس إلى الصراط المستقيم صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحذرهم من طرق الجحيم الطرق التي سلكها أعداء الله من المغضوب عليهم والضالين فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

---

(١) في القاموس(١/٣٥٢): الجهبذ بالكسر النقاد الخبير.

ولادته ونشأته وأبرز شيوخه وتلامذته

ولد رحمه الله وغفر له في اليوم السابع عشر من شهر المحرم سنة إحدى عشرة بعد الثلاثمائة والألف ١٣١١هـ في مدينة الرياض ونشأ في بيت العلم والفضل والتقى والصلاح فتغذى بلبان العلم والإيمان وتسلح بسلاح المعرفة والعقيدة السليمة منذ نعومة أظفاره حتى آل أمره إلى أن صار مرجع العلماء وأبرز الفقهاء ونادرة الأذكياء، أخذ العلم عن والده الشيخ إبراهيم وعن عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وعن الشيخ سعد بن عتيق وعن الشيخ حمد بن فارس وغيرهم ممن فقهه الله في دينه ونور بصيرته ثم أخذ ينشر العلم ويرشد إلى الخير ويحذر من الشر صابراً محتسباً حتى تخرّج على يديه الأعداد الكبيرة من العلماء الذين قاموا بمهام القضاء والتدريس وغيرها في المملكة العربية السعودية، ومن أبرزهم: فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز نائبه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام(١).

أعماله رحمه الله

بعد وفاة عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف سنة ١٣٣٩هـ أسند إليه عمله وقام مقامه في الإفتاء ومشيخة علماء نجد وملحقاتها ثم تولى رئاسة القضاة في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية، وعند تأسيس الكليات والمعاهد العلمية باقتراحه ومشورته أسندت إليه رئاستها ثم رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ورئاسة رابطة العالم الإسلامي وغيرها من الأعمال العظيمة التي أنيطت بسماحته والتي كان يزاولها بقوة وحزم إلى نهاية أمره، وما كان تقليد ولاة أمور المسلمين لسماحته هذه الأعمال إلَّا لكونه موضع الثقة التامة وما كان تقلده إياها إلَّا حرصاً منه على أن تسير الأمور فيها على أكمل وجه وأحسن حال.

هذا وإن المدة التي بين وفاة عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف سنة ١٣٣٩هـ رحمه الله وبين وفاته رحمه الله سنة ١٣٨٩هـ خمسون سنة قضاها في الدعوة إلى الحق والجهاد في سبيل الله والذب عن شريعته والعمل بجد وحزم فيما ينفع المسلمين، أجزل الله له الثواب وأسكنه فسيح الجنان.

(١) يشغل الآن الشيخ عبد العزيز بن باز منصب رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ويشغل الشيخ عبد الله بن حميد منصب رئيس المجلس الأعلى للقضاء.

مؤلفاته

ورغم كثرة هذه الأعمال التي نهض بها والتي يشق القيام بها على الجماعة من الرجال، خلف وراءه من الفتاوى ما يبلغ المجلدات الكثيرة وقد جمع بعضها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وأكثرها في ملفات دار الإفتاء ونرجو الله تعالى أن يوفق المسؤولين لنشرها ليعم الانتفاع بها(١)، كما أن له نصائح توجيهية عامة وخاصة ورسائل قيمة كبيرة الفائدة قد طبع كثير منها.

صفاته رحمه اللّٰه

وكان سماحته غفر الله له من الرجال القلائل الذين يعدون من نوادر الزمان لما منحه الله من الصفات الحميدة والخصال الجمة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فقد كان رحمه الله إلى جانب غزارة علمه وسعة اطلاعه وقوة ذاكرته راجح العقل ثاقب الرأي صبوراً حليماً ذا أناة وروية وذا شخصية فذة تذوب أمامها الشخصيات الكبيرة مهيب الجانب مع تواضعه وبعده عن الترفع عالي الهمة، رجل علم وعمل حافظاً لوقته معنياً بعمارته في خدمة الإسلام والمسلمين بعزيمة لا تعرف الكسل وهمة لا يشوبها فتور داعياً إلى الله على بصيرة لا يخشى في الله لومة لائم، إلى غير ذلك من الخصال الحميدة التي وفقه الله للاتصاف بها، وقد فقد بصره في السابعة عشرة من عمره، ولكن الله عوضه قوة في البصيرة ونوراً في القلب وإشراقاً في حياته المباركة المعمورة بتقوى الله والجهاد في سبيله.

وفاته رحمه اللّٰه

توفي رحمه الله تعالى ضحى يوم الأربعاء الموافق الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٨٩هـ وصلي عليه في المسجد الجامع الكبير في الرياض عقب صلاة الظهر، أَمَّ الناس في الصلاة عليه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله

بن باز، واكتظ المسجد بالمصلين عليه من خاصة الناس وعامتهم على الرغم من قصر المدة التي بين وفاته ووقت صلاة الظهر، وكان على رأس الذين حضروا للصلاة عليه الملك فيصل . حفظه الله . حيث أدى الصلاة عليه مع الناس في الجامع الكبير ثم ذهب إلى المقبرة ولم يزل على حافة القبر حتى دفن رحمه الله، وقد نقل من المسجد إلى المقبرة على أكتاف الرجال في مسافة تقرب من اثنين كيلومتراً واكتظت الشوارع بالمشاة وبالسيارات التي تحمل المشيعين لجنازته ولم تكن المصيبة فيه مصيبة أسرة بل كانت المصيبة عامة يتمثل لها بقول الشاعر:

وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما(٢)

وكانت وفاته رحمه الله على أثر مرض أصابه في كبده في أواخر شهر شعبان حيث دخل المستشفى في الرياض، وفي أوائل شهر رمضان سافر إلى لندن ثم عاد منها إلى الرياض في مساء يوم الخميس الثامن عشر من شهر رمضان، ومنذ عودته وهو في غيبوبة يفيق أحياناً فيذكر الله ويستغفره حتى توفاه الله تعالى، ومدة عمره ثمان وسبعون سنة وثمانية أشهر

وثمانية أيام رحمه الله وغفر له، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يفتح له أبواب الجنة الثمانية ليدخل من أيها شاء إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلَّا به.

وقد أرخت سنة وفاته بهذه الأبيات:

سماحة الشيخ العظيم المنزله الثاقب الرأي بحل المشكله

مفتي الديار رأس كل قضاتها مَعْ دور علم الشرع كل أنَّ له(٣)

وفاتـه بأحـرف أرختهـا فقلت(جد جواد واغفر لي وله(٤)

---

(١) وقد تحقق ذلك بحمد الله وتمت طباعتها.

(٢) بيت من قصيدة رثى بها عبدة بن الطيب قيس بن عاصم بن سنان المنقري التميمي الصحابي رضي الله عنه، أورده الحافظ ابن حجر في ترجمته في الإصابة (٣/٢٤٣).

(٣) من الأنين أي حزن لوفاته.

(٤) نشر في مجلة الجامعة الإسلامية عدد شوال عام ١٣٨٩هـ.

تكميل

أصدرت صحيفة الدعوة التي تصدر بالرياض عدداً خاصاً عن الفقيد رحمه الله وذلك في عددها (٢٣١) الصادر يوم الاثنين ١٣ شوال عام ١٣٨٩هـ يشتمل على سبع وعشرين مقالة نثراً وشعراً وقد وفق لنشر هذه المقالات في هذا العدد سعادة مدير عام مؤسسة الدعوة ورئيس التحرير في ذلك الوقت الأستاذ عبد الله بن إدريس، فشكر الله سعيه وأحسن جزاءه.

وهذه عناوين المقالات وهؤلاء كاتبوها على ترتيب أسمائهم:

صفحات من حياة الفقيد. كلمة لإبراهيم بن عبد الله آل الشيخ.

مصاب أليم. كلمة لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

وانثل الطور. كلمة لأبي خالد.

عزاء. قصيدة لأبي سامي.

مصيبة كبرى. كلمة لإسماعيل الأنصاري.

ما ماتت النفس النفيسة وحدها. قصيدة لإسماعيل بن سعد بن عتيق.

عالم فقدناه. كلمة لحسن بن عبد الله آل الشيخ.

إلى رحمة الله. كلمة لحمد بن محمد بن فريان.

حادث جلل. كلمة لراشد بن صالح بن خنين.

فقيد الإسلام. كلمة لسعد بن عبد العزيز الرويشد.

الشيخ محمد بن إبراهيم العالم الذي فقدته الأمة الإسلامية. كلمة لصالح بن إبراهيم المنيف.

طمى بالورى فدح. قصيدة لصالح بن سليمان بن سحمان.

رجل فقدناه. قصيدة لضياء الدين الصابوني.

من ذا يقيس الدر بالأصداف. قصيدة لعبد الله بن إدريس.

الكليات والمعاهد(١) ثمرة من جهود الشيخ محمد بن إبراهيم. كلمة لعبد الله التركي.

فجيعة المملكة في شيخ القضاة وقاضي العلماء. كلمة لعبد الله بن سعد الرويشد.

رجل علم وعمل. كلمة لعبد الرحمن رأفت الباشا.

جفا جفني المنام. قصيدة لعبد الرحمن بن عبد العزيز بن سليمان بن سحمان.

قصيدة لعبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان.

ولئن تفطرت القلوب. قصيدة لعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

مات الطود. كلمة لفراج بن عليّ العقلاء.

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله. كلمة لمحمد سرور الصبان.

يا للجراح فجيعها قمم النهى. قصيدة لمحمد بن سعد بن حسين.

رحيل ابن إبراهيم رزء وإنه. قصيدة لمحمد بن عبد العزيز بن هليل.

وداعاً أيها العلم. قصيدة لمحمد عبد المنعم خفاجي.

دمعة على الإمام الراحل. قصيدة لمحمد كامل الفقي.

لتبك الأمة الإسلامية على فقيدها. كلمة لمحمد لقمان السلفي.

مَلِكٌ فَذٌّ

(١) أطلق عليها فيما بعد سنة ١٣٩٤هـ اسم: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

في يوم الثلاثاء الموافق الثالث عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ توفي الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وإمام المسلمين وخادم الحرمين الشريفين وهو في سن الحادية والسبعين من عمره غفر الله له ورحمه، وقد خسر المسلمون بموته ذلك الفيصل العظيم والقائد المظفر والرجل الدؤوب على مصالح المسلمين وقد كان لوفاته الأثر البالغ في النفوس لا في مملكته وحدها ولا في العالم الإسلامي فحسب بل في العالم أجمع وذلك لما يتمتع به رحمه الله من خصال لا تجتمع إلَّا في النادر من الرجال، فمن قوة عزيمة إلى تواضع جم إلى حنكة وطول تجارب إلى تحمس للدعوة إلى الله إلى اهتمام بالغ بتضامن المسلمين إلى غير ذلك من صفات حسنة وأخلاق كريمة، فقد فجع بنبأ موته الخاص والعام وبكاه الصغير والكبير وسمعت النبأ المحزن بوفاته وأنا عند أحد الأصدقاء بمدينة الرياض وكنا نسمع بكاء أطفاله من داخل

المنزل حين سمعوا بوفاته رحمه الله، وخرجت مدينة الرياض عن بكرة أبيها للمصلى للصلاة عليه وامتلأت الشوارع وانسدت الطرق بين المصلى والمقبرة، وهذه المودة الصادقة والمحبة الشديدة التي تكنها له رعيته تذكر بالحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم...)) الحديث، وستظل هذه المحبة للملك فيصل رحمه الله باقية بإذن الله في قلوب المسلمين وسيظل ذكره بالخير جارياً على ألسنتهم وسيلهجون بالدعاء له باستمرار بالمغفرة والرحمة وأن يجزيه الله الجزاء الأوفى على ما بذله من جهود عظيمة في سبيل إعلاء كلمة الله وإظهار دينه ونشر شريعته.

وكان انتقاله من هذه الدار إلى الدار الآخرة على أثر اعتداء يد أثيمة امتدت إليه خلسة وهو يواصل عمله ضحوة في مكتبه بمجلس الوزراء وقد شاء الله أن يكون رحمه الله عاملاً حتى اللحظة التي فارق فيها الحياة، وأن تكون كيفية مفارقته الحياة على نحو الكيفية التي فارق الحياة فيها الخلفاء

الراشدون: عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، إذ فارقوا الحياة الدنيا على أثر اعتداء أيد أثيمة امتدت إليهم، وكان رحمه الله يتمنى الشهادة في سبيل الله ونرجو أن يكون قد نالها، قال رحمه الله في خطبته التي ألقاها في موسم الحج عام ١٣٨٨هـ وهو يتحدث عن تحرير المسجد الأقصى: ((أيها الإخوة المسلمون، نريدها غضبة ونهضة إسلامية لا تدخلها قومية ولا عنصرية ولا حزبية إنما دعوة إسلامية دعوة إلى الجهاد في سبيل الله، في سبيل ديننا وعقيدتنا دفاعاً عن مقدساتنا وحرماتنا، وأرجو الله سبحانه وتعالى أنه إذا كتب لي الموت أن يكتب لي الموت شهيداً في سبيل الله)).

((إخواني: أرجو أن تعذروني إذا ارتج عليّ فإنني حينما أتذكر حرمنا الشريف ومقدساتنا تنتهك وتستباح وتمثل فيها المفاسد والمعاصي والانحلال الخلقي فإنني أدعو الله إذا لم يكتب لنا الجهاد لتخليص هذه المقدسات أن يبقيني لحظة واحدة على قيد الحياة)).

أقول: أرجو أن يكون قد نال الشهادة التي تمناها فقد كانت حياته رحمه الله حياة جهاد وعمل متواصل في سبيل الله، والشهادة ليست مقصورة على شهيد المعركة بين المسلمين والكفار، فقد ثبت في صحيح البخاري أن عمر وعثمان رضي الله عنهما شهيدان، فأخرج في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: ((اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان...))، وأخرج البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ))، ولم يكن موت عمر وعثمان رضي الله عنهما في معارك بين المسلمين والكفار وإنما كان باعتداء أيد أثيمة على كل منهما رضي الله عنهما وأرضاهما، وقد عقد الإمام النووي رحمه الله باباً في كتابه (رياض الصالحين) قال فيه: (**باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة ويغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار**).

وأورد في هذا الباب خمسة أحاديث تشتمل على أصناف وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم شهداء فيهم من قتل في سبيل

الله ومن مات في سبيل الله ومن قتل دون ماله ومن قتل دون دمه ومن قتل دون دينه ومن قتل دون أهله والمطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم.

ومنذ وفاته رحمه الله تسلم قيادة السفينة من بعده الرجل الفاضل المتواضع ذو السجايا الحسنة والأخلاق الفاضلة الملك خالد بن عبد العزيز يشد أزره ولي عهده سمو الأمير فهد بن عبد العزيز وإخوانهم الكرام فسارت والحمد لله إلى بر النجاة وشاطىء السلامة بحول الله باسم الله مجراها ومرساها.

وأسأل الله تعالى أن يسدد خطاهم وأن يعينهم على كل خير وأن يعز بهم الإسلام ويرفع شأن المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه(١).

حظيت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بزيارة الملك فيصل رحمه الله ثلاث مرات، الأولى في عام ١٣٨٢هـ والأخيرة في مطلع عام ١٣٩٣هـ.

وقد استمع رحمه الله في زيارته الأولى إلى درس في التوحيد ألقيته على طلاب السنة الأولى من كلية الشريعة، وفي زيارته

الأخيرة إلى درس في الفقه ألقيته على طلاب السنة الرابعة من كلية الشريعة، أما زيارته الثانية فكانت في أول شهر ذي القعدة من عام ١٣٨٤هـ.

وقد ارتجل في الحفل الذي أقامته الجامعة بمناسبة زيارته كلمة قيمة تفيض بالمعاني السامية والتوجيهات النافعة وألقى كاتب هذه السطور في هذا الحفل كلمة المدرسين في الجامعة. وفيما يلي نص الكلمتين المشار إليهما:

---

(١) نشر في مجلة الجامعة الإسلامية عدد ربيع الآخر عام ١٣٩٥هـ.

كلمة الملك فيصل رحمه الله التي ارتجلها في الجامعة الإسلامية

أيها الإخوة المسلمون:

إنَّه ليسرني في هذه اللحظة المباركة أن أتقدم إليكم بعظيم شكري وامتناني لما حبوتموني به من مظاهر العطف والرعاية، وإنني لأتقدم بالشكر بصورة خاصة إلى والدنا الكريم رئيس الجامعة وإلى الأخ العزيز نائبه الشيخ عبد العزيز بن باز، وإلى

أساتذة ومديري وطلاب هذا المعهد العظيم لما رأيته ولمسته من روح وثابة وعزم أكيد لخدمة هذا الدين وأبناء المسلمين في أقطار العالم الإسلامي.

أيها الإخوة:

ليس غريباً أن أر وأسمع وألمس في هذه الجامعة ما يثلج الصدور ويبهج الخاطر من انطلاقة إسلامية كبرى أرجو لها النجاح وأرجو أن تؤتى ثمارها في أقطار العالم الإسلامي لخدمة هذه الدعوة المباركة والنهوض بها والسعي إلى نشرها بين أبناء الملة الإسلامية، والدعوة إليها بين أبناء الملل الأخرى، وإنني لأرجو لها نجاحاً باهراً ما دامت ترتكز على مثل هذه السواعد ومثل هذه الروح الوثابة المنطلقة بحول الله لنشر هذا الدين والدعوة إليه والجهاد في سبيله.

أيها الإخوة:

إنَّ المسؤولية الملقاة على عواتقكم وعواتق الجميع مسؤولية كبرى فاسعوا إلى التفقه في دينكم ومعرفة كل ما يمكن معرفته لتكونوا مسلحين بسلاح العلم وسلاح الفقه وبسلاح المعرفة حتى تكونوا مستعدين لما يجابهكم من صعاب ومن

دعوات مضللة ومن مجهودات يرغب ويأمل أصحابها في أن يأخذوا من هذا الدين وأن يحطوا من قدره وأن يهاجموه بكل ما أوتوا من قوة، وإنني لأرجو الله مخلصاً أن يهبكم الصبر والشجاعة والقوة لتكافحوا في سبيل هذا الدين ولتبصروا الناس بما يحتويه هذا الدين وما تحتويه هذه الدعوة والشريعة من مزايا ومن مكارم ومن أسس هي أصلح ما يكون للبناء، البناء الذي يهدف إلى صالح البشر وإلى خير الأمة ولا يهدف إلى التزوير وإلى البدع والمضللات وإلى هدم الكيانات البشرية وإلى هدم الأخلاق وكل ما هو كريم في بني الإنسان.

أيها الإخوة:

إن أمامكم طريقاً شاقاً وطريقاً طويلاً وصعاباً جمّة، وأرجو أن تتسلحوا لها بالعلم والعرفان والنفس المطمئنة الصابرة الحكيمة في الدعوة إلى الله، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وجادل الكفرة وجادل المشركين وجادل المرتدين والملحدين والمعاندين حتى تلقمهم الحجة وتتغلب عليهم بالحكمة وبالعقل والصبر، فهذا هو السبيل إلى الدعوة

وهذا هو السبيل إلى تنوير أذهان الناس وتبصيرهم فيما تحتويه هذه الدعوة وما يحتويه الشرع الإسلامي والدين الإسلامي من مزايا وخصائص لا يمكن أن تخطر على قلب بشر ولا يمكن أن ينكرها أو يجحدها إلَّا جاحد أو مكذب.

أيها الإخوة الكرام:

لا أريد أن أطيل عليكم وإنني واثق بحول الله من أن بين جنبات هذا المعهد من هم أحسن مني وأفقه مني وأعلم مني ممن ألقيت على عاتقهم مسؤولية تثقيفكم، أيها الإخوان ومسؤولية تنويركم لا أقول إلى الحق فإن الحق واضح ولكن لصقل أفكاركم ومداركم لتكونوا سلاحاً في يد الإسلام، في يد هذه الدعوة تبصرون الجاهل وتوضحون الطريق لمن أراد الإيضاح وتجابهون من أراد العنت والكفر والعناد بحجة واضحة، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه: ((تركتكم على مثل محجة بيضاء لا يزيغ عنها إلَّا هالك)).

فالحق واضح ولكن يحتاج إلى أن نهدي إليه الناس وأن نبصرهم بالسبل التي تؤول إلى الحق وتهتدي بالحق وتطلب الحق، فمن أراد الحق فهو واضح ومن أراد الجحود فلا حول

ولا قوة إلَّا بالله، فإن في الإسلام والمسلمين بحول الله وقدرته من القوة والثبات ما يمكنهم من أن يدافعوا عن الحق أمام كل جاحد وكل مرتد وكل متكبر.

أيها الإخوان:

إن ما نقوم به في سبيل نشر العلم والدعوة إلى الله ونشر الثقافة الإسلامية ما هو إلَّا قليل مما يجب علينا ولكننا نسير حسب الإمكانيات وحسبما يتحمله أو يقتدر عليه مجهود البشر ولكن ثقوا بحول الله أننا سائرون بكل ما أوتينا من قوة لنصر ديننا ولخدمة الإسلام وللدفاع عنه ولتبصير الناس به، فمن أراد الحق ومن أراد الخير فسبيله واضح ومن أراد غير ذلك استعنا عليه بالله سبحانه وتعالى ثم بقوة العقيدة والإصرار على التمسك بها، فإن أخشى ما يُخشى على المسلمين هو إدخال الشك في نفوسهم من عقيدتهم ومن دينهم وهذا ما يخشى على المسلمين منه، وإنني أرجو الله مخلصاً أن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه وأن يحفظنا بالإسلام وأن يوفقنا لسبيل الحق والصواب.

ولي ملاحظة بسيطة أحب أن أقدمها للأخ نائب الرئيس، فقد تفضل وقال عني بأنني أمير المؤمنين وأني كذا وكذا، فأرجو أن يتقبل مني هذه الملاحظة فإنني لست في درجة من سلفوا من أمراء المؤمنين ومن خلفاء المسلمين وإنما أرجو أن يعتبروني هو وإخواني وكل من أتشرف بخدمتهم أن أكون خادم المسلمين وخادم المؤمنين وهذا أشرف ما يكون، أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقني بأن أقوم بهذا الواجب حسب إمكاني وأن يوفقني لخلوص النية والعمل الصالح الدائب إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة ألقيتها بين يدي الملك فيصل رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فأصالة عن نفسي ونيابة عن إخوتي المدرسين في هذه الجامعة أتقدم بين يدي جلالتكم لإلقاء هذه الكلمة الوجيزة.

يا إمام المسلمين! لا شك أن تأسيس الجامعة الإسلامية من أعظم الحسنات التي وفق الله حكومتكم السنية لها فهي بحق مفخرة خالدة سجلها التاريخ في صفحاته الزاخرة بما لهذه الحكومة الموقرة من المكرمات، وقد حظيت من جلالتكم بالعناية التامة إذ رعيتموها حق رعايتها وبذلتم الوسع في سبيل السير بها إلى الأمام وتذليل الصعاب التي تعترضها.

ونبشركم أنها بحمد الله منذ تأسيسها جادة في التوجيه إلى الخير ونشر الدعوة في أقطار الأرض وها هي في آخر هذا العام الدراسي تؤتي ثمارها فيتخرّج أول فوج من أبنائها إن شاء الله تعالى، عددهم ما يقرب من خمسين طالباً ينتشرون في أنحاء المعمورة محققين بذلك بحول الله تعالى وقوته مدلول قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

وإنا لنرجو الله سبحانه أن يحقق الهدف الأسمى من تأسيسها فيفتح الله بسببها آذاناً صما عن استماع الحق وقلوباً غلفاً قد استحكم عليها غلافها حتى صارت بعيدة عن الحق والاستنارة بضوئه وأعيناً عمياً عن النظر في الأدلة والبراهين التي نصبها الله لتدل على وجوده وأنه المستحق للعبادة دون ما سواه.

نعم يا إمام المسلمين إنها من أعظم الحسنات لحكومتكم الجليلة فهي ملتقى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لاسيما وقد كان تأسيسها في العاصمة الأولى للمسلمين مدينة رسول الله ﷺ في زمن تداعى أعداء الإسلام عليه من كل جانب ووضعوا المخططات الطويلة العريضة لغزوه بشتى الوسائل، وأنجع وسيلة توصلوا إليها مع الأسف غزوه بواسطة أبنائه والمنتسبين إليه وذلك بما يلصقونه به مما هو منه براء بعبارات لا تنطلي إلَّا على من بعدت الشقة بينه وبين تعاليم السماء.

فتأسيس هذه الجامعة المباركة في هذا الزمن فيه قيام ببعض الواجب إزاء هذه التيارات، وفق الله وله الحمد والمنة لهذا

المشروع العظيم حكومتكم السنية زادها الله من التوفيق والهدى.

ولا ريب أن الدعوة إلى الله والعمل على نشرها والذب عن دين الله طريقة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد أخبر النبي ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعظم أجر الداعي إلى الله تعالى والمتسبب في إيصال الهدى إلى الخلق وأقسم على ذلك مؤكداً له بقوله ﷺ: ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)).

يا إمام المسلمين! في هذه المناسبة المباركة نرى لزاما علينا معشر المدرسين في هذه الجامعة أن نقوم بأداء بعض ما يجب لجلالتكم.

فجماع الخير في الدنيا والآخرة يحصل للمتقين فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وقد وعدهم الله وهو لا يخلف الميعاد أن يمكن لهم في الأرض فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥]، وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٤٠-٤١]، وأخبر بأن لهم عند استحكام الشدائد مخرجاً، ومن أصدق الشواهد الواقعية على ذلك ما حصل للمسلمين يوم بدر من النصر المبين على قلة عددهم وعُدَدِهم.

وما ذكره النبي ﷺ من قصة الثلاثة الذين انحدرت عليهم صخرة وسدت باب الغار الذي أووا إليه ففرّج الله عنهم ما هم فيه بسبب تقواهم لله وإخلاصهم الأعمال الصالحة له سبحانه.

ومن ولاه الله أمر المسلمين فحمله ثقيل ومسؤوليته كبيرة لأنه سيسأل أمام الله عن نفسه وعن رعيته لقول الرسول ﷺ: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته))، ولهذا يقول الإمام أحمد رحمه الله:

((لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للأئمة لأن بصلاحهم صلاح الرعية))، وما أشبه من ولاه الله أمر المسلمين بالقلب الذي بيّن النبي ﷺ عظم مكانته بقوله: ((ألا وإن في الجسد

مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)).

يا إمام المسلمين! أي إنسان ينوي سفراً فإنه يحتاط لنفسه فيحمل معه زاده وما يحتاج إليه، وإن الناس جميعاً في هذه الدار مسافرون ومسافة السفر مجهولة لكل أحد ومنتهى ذلك السفر الموت، وذلك السفر زاده الوحيد الذي لا ينتفع الإنسان بغيره هو تقوى الله، ولما ذكر الله زاد السفر في الدنيا إلى الحج وغيره نبّه إلى زاد الآخرة وأنه أفضل زاد فقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧].

يا إمام المسلمين! البطانة الصالحة أعظم معوان على الحق ولهذا شبّه النبي ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك وجليس السوء بنافخ الكير، وأحوج الخلق إلى البطانة الصالحة ولاة أمر المسلمين، وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لجلسائه: ((من صحبني منكم فليصحبني بخمس: يدلني إلى ما لا أهتدي إليه من العدل، ويكون لي على الحق عوناً، ويبلغني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، وأن لا يغتاب عندي

أحداً، ويؤدي الأمانة التي حملها مني ومن الناس، فإذا كان كذلك فحي هلا وإلاّ فهو في حرج من صحبتي والدخول علي)).

يا إمام المسلمين! إن مما يكسب العبرة الوقوف على ما سجله التاريخ بين طياته من عبر وعظات، فهو مملوء من الصفحات المشرقة لأولياء الله الذين قاموا بأداء ما أوجبه الله عليهم، ومملوء من الصفحات المظلمة المبرهنة عما أوقع الله بأعدائه من العقاب، ففي مطالعة تلك الصفحات ما يحرك النفس ويبعث على النشاط في سبيل إعادة مجد الإسلام ورفع رايته لاسيما مطالعة ما سجله من سيرة الرسول ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الرجال المصلحين الذين وقفوا نفوسهم على إعلاء كلمة الله والعمل بما يرضيه.

ختاماً: نبتهل إلى الله أن يجعلكم من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله، وأن يمنّ عليكم بالتوفيق والتسديد في جميع ما تأتون وتذرون وأن ينصر بكم دينه ويعلي كلمته ويخذل بكم من أراد الإسلام وأهله بسوء إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.